# شعراء النصرانية بعد الاسلام

## شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

### ٢٩ امين الدولة هبة الله ابن التلميذ (تتمة)

ولابن التلميذ اقوال حسنة في الفكاهات واللطائف منها وصفهُ لزجاجتَيهِ (من مجزوء الكامل) :

بزجاجتَين قطعْتُ عمري وعليهما عوّلتُ دهري
بزُجاجةٍ مُلئت بحبرٍ وزُجاجةٍ مُلئت بخمرِ
فبذا أثبتُ حِكمتي وبذا أزيل هُمومَ صدري

ومن قولهُ في شرب الخمرة (من الرجز) :

كأسٌ يُطفي لَهَبَ الأوامِ بانٍ يُعين هاضمَ الطعامِ
والسرورِ ثالثُ المُدامِ والعقلُ يُنفيهِ مَزيدُ جامِ

ومن لطائفهِ ما قالهُ ليُكتب على حصير (من الكامل) :

أفرَشْتُ خدّي للضيوفِ ولم يزَلْ خُلقي التواضُعَ للَّبيبِ الأكيَسِ
فتواضُعي أعلى مكاني بينهم طوراً فصرتُ أحلُّ صدر المَجلِسِ

وقال في مَسند الرأس (من الخفيف) :

ربَّ وَصلٍ شَهِدتُهُ فتمتَّعْـتُ عِناقاً بالعاشقَينِ جَميعا

وَجدَاني للوِدِّ اهلًا وللسِّـرِّ مكاناً وللصديق مُطيعا

ولهُ في مِجْمَرة البَخُور (من المتقارب):

اذا الهَجْرُ أَضْرَمَ نارَ الهوى فقلبيَ يُضْرَمُ للهجر نارا
أبوحُ بأسراريَ المُضْمَرا تِ تبدو سِرارًا وتبدو جَهارا
اذا ما طوى خبَري صاحبٌ أبى طيبُ عَرْفيَ الّا انتشارا

وقال فيها بمعناه (من الخفيف):

كلُّ نارٍ للشَّوقِ تُضْرَمُ بالهَجْـرِ وناري تَشُبُّ عند الوصالِ
فاذا الصَّدُّ راعَني سكَنَ الوَجْـدُ ولم يَخطُرِ الغَرامُ ببالي

ومثلهُ في المجمرة ايضاً (من مجزوء الكامل):

يشكو المُحِبُّون الجَوى عند التفرُّق والزِّيالِ
وأَشدُّ ما أُصلى بِنا رِ الشوقِ اوقاتَ الوِصالِ

وقال ايضاً يصفها (من المنسرح):

رُبَّ حِمًى لا تُرَامُ عِزَّتُهُ أَبَحْتُهُ النَّفسَ غيرَ محجوبِ
يُبدي عِياني لِمَنْ تأَمَّلني نارَ مُحِبٍّ وَنَشْرَ محبوبِ

ومن لطائفهِ يصف مَفْصل الشَّرْب (من الطويل):

اذا ما خطبتَ الودَّ بين معاشرٍ فكُنْ لهمُ مثلي تُعَدُّ اخا صِدْقِ
اذا استأثروا من كلِّ كأسٍ بصَفْوِها رضيتُ بما أبقَوْهُ من مَشْرَبٍ رَنْقِ

ومما اخبرهُ ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٧٤) ان ابن التلميذ عالج في مرضهِ الرئيس ابا القاسم عليّ بن اللحّ الكاتب. فلمّا نَقِهَ من مرضهِ وكان ابن التلميذ فرض عليهِ

الحنية فكتب له ابو القاسم يطلب منهُ ان يأذن له باكل الخبز:

أنا جَوْعانُ فأنقِذْ نِيَ من هذي المجاعَهْ
فَرَجي في كَسْرةِ الخبـــز ولو كانت قُطاعَهْ (١
لا تَقُلْ لي ساعةً تَصْـــبرُ ما لي صَبْرُ ساعَهْ
فخَوايَ اليوم ما يَقْـــبَل في الخُبز شَفاعَهْ

فاجابهُ ابن التلميذ (من الرمل):

هكذا اضيافُ مِثلي يتشكَّوْنَ المجـاعَهْ
غيرَ أني ليس عندي لِمُضِرٍّ من شَفاعَهْ
فتعلَّـلْ بسَويقٍ فهو خيرٌ من قُطاعَهْ
بحياتي قُلْ: كما تَرْ سُمُهُ سَمْعاً وطاعَهْ

ومما رواهُ ابن ظافر الازديّ في كتابهِ بدائع البدائه (ص ٥٤) قال: اخبرني القاضي السعيد ابو قاسم هبة الله بن سناء الملك رحمهُ الله قال: اخبرني الجليل الوافد من العراق على الدولة المصريّة قال: اجتمعتُ في بعض الأيام بامين الدولة ابي الحسن هبة الله بن صاعد بن التلميذ فاخذتُ في ذمّ الدهر وإخنائهِ على اهل الفضل واذا بكلاب صَيْد التي يرسم اختيفة قد أُبرزت في جلال الوشي والديباج فحرّك ذلك ما كنا نتجاذب أهدابهُ في ذمّ الدهر فقلتُ (من الرجز):

من كان يُلبسُ كلبَهُ وشيًا ويقنَعُ لي بجلدي (٢

فاستجزتُهُ فقال واجاد:

الكلبُ خيرٌ عندهُ مني (٣ وخيرٌ منهُ عندي

---

١) قال القُطاعة هو الحَشْنُ من الدقيق يُقطع من النُخالة ويُخبز فيُسمى خبز قطامه
٢) ويُروى: من كان يكسو الكلبَ وشيًا ثم يقنعُ . . .
٣) ويروى: فالكلبُ مني عندهُ خبزٌ

ولابن التلميذ ﴿ هجو ﴾ قليل فمن ذلك ما هجا بهِ الطبيب اوحدَ الزمان ابا البركات اليهودي ثمّ المسلم وكان تعيَّن معهُ في خدمة الخليفة المستضيء بالله. قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦٠):

« ان اوحد الزمان كان قد كتب رقعةً يذكر فيها عن ابن التلميذ اشياء يعدُّ جدًّا ان تصدُرَ من مثلهِ ووهب لبعض الخدم شيئًا واستسرَّهُ ان يرميها في بعض طُرُق الخليفة من حيث لا يعلم بذلك احد (وهذا مما يدلُّ على شرّ عظيم) وانَّ الخليفة لمَّا وجد تلك الرقعة صَعُب عليهِ جدًّا في اوَّل امرهِ وهمَّ ان يوقع بامين الدولة. ثمَّ انهُ بعد ذلك رجع الى رأيهِ واشير عليهِ ان يبحث ويتأمل عن ذلك وان يستتر من الخدم من يُتهمهُ بهذا المعنى. وما زال ذلك انكشف لهُ انَّ اوحد الزمان كتبها للوقيعة بابن التلميذ فحَنِقَ عليهِ حنقًا عظيمًا ووهَبَ دمهُ وجميع مالهِ وكتبهِ لامين الدولة ابن التلميذ. ثمَّ انَّ امين الدولة كان عندهُ من كرم الطباع وكثرة الخيريَّة انهُ لم يتعرَّض لهُ بشيء وبُعِدَ اوحدُ الزمان بذلك عن الخليفة واغتمَّ متركهُ. ومن مطبوع ما لامين الدولة فيهِ قولهُ (من المنسرح):

لنا صديقٌ يهوديٌّ حماقتهُ ... اذا تكلَّمَ تبدو فيهِ من فيهِ
يَتيهُ والكلبُ اعلى منهُ منزلةً ... كأنَّهُ بعدُ لم يَخرُج من التيهِ

وقال ابن التلميذ في والدهِ وكان في سائر احوالهِ بعيدًا عما كان عليهِ والدهُ (من المنسرح):

اشكو الى الله صاحباً شَكِساً ... تُسعِفُهُ النفسُ وهو يَعنِفُها
فنحنُ كالشمسِ والهلالِ معاً ... تُكسِبُهُ النورَ وهو يَكسِفُها

وفيهِ قال يؤنّبهُ (من الكامل):

والوقتُ أنفَسُ ما عُنيتَ بحفظهِ ... واراهُ أسهَلَ ما عليكَ يَضيع

وقال يهجو صديقًا اسمهُ سعيد خانهُ (من السريع):

حُبّي سعيدًا جوهرٌ ثابتٌ ... وحُبُّهُ لي عَرَضٌ زائلُ
بهِ جهاتي الستُّ مشغوفةٌ ... وهو الى غيري بها مائلُ

وروى لهُ محمَّد بن خُضر الحلبيّ يهجو الوزير الدركزيني (من مجزوء الكامل):

قالوا: فلانٌ قد وَزَرْ فقلتُ: كلّا لا وَزَرْ
والله لو حُكِّمْتُ فيهِ م جعلتهُ يرعى البقَرْ

وقال فيهِ (من مجزوء الكامل):

قالَ الأنامُ وقد رأو ه مع الحداثةِ قد تصدَّرْ:
مَنْ ذا المجاوزُ قدرَهُ قلتُ: المُقدَّمُ للمؤخَّرْ

ومثلهُ في رجلٍ قليل الوفاء (من مجزوء الكامل):

قد قلتُ للشيخ الجليـ ـلِ الأريحيّ ابي الظَّفَرْ:
ذُكِرَ فُلانَ الدين بي قال: المؤنَّثُ لا يُذكَّرْ

وقال يهجو آخر المسمّى حيدرًا (من الكامل):

مذ صار حيدرُ بَيْدَقَ الصَّدْرِ ومُشيرَهُ في النَّهي والأمرِ
والمستنابُ على نيابتهِ ايقنتُ انَّ العَجْزَ في الصَّدْرِ

وقال يهجو انسانًا بالعين (من المنسرح):

مدوَّرُ الكعبِ فأتخذهُ لتلِّ غرسٍ وثلِّ عرشِ
لو رمقتْ عينهُ الثريّا أخرجها في بناتِ نعشِ

ولهُ ايضًا في شقيّ يخاف الهجو (من السريع):

يا خائف الهجو على نفسهِ كنْ في أمانِ الله من مسّهِ
انت بهذا العرضِ بين الورى مثل (القذى) يمنعُ من نفسهِ

ومن اقوال امين الدولة ﴿في الشوق﴾ ما رواهُ الصفدي في شرح لاميّة العجم (١: ١٤٧) (من المنسرح):

عاتبتُ اذ لم يَزُرْ خيالك والـنَّوْمُ بشَوْقي اليـهِ مسلوبُ
فزارني مُنْعِماً وعـاتَبني كما يقالُ المنامُ مقلوبُ

وقال بمعناه (من البسيط):

يا دارُ لا تُنكري مني التفاتَ فتًى فِراقُ احبابهِ أجرى مَدامعَهُ
عهدتُ فيكِ قُمَيرًا كان يؤنِسُني حيناً فعَيْناي تَستقري مطالعهُ

وله يتشوّق الى اصحابهِ في بغداد (من الطويل):

على ساكني بغدادَ مني تحيّةٌ تُحَمِّلها ريحُ الشمالِ اليهمِ
تخبّرهم انّي صَحبتُ معاشرًا سواهم فأبكاني الزمانُ عليهمِ

ومثلهُ (من الطويل):

خليلٌ نَأى عني فبُدِّلتُ بعدَهُ مُقيمَ الجوى من صفوِ عيشٍ وطيبهِ
اغار عليهِ صَرْفُ دهرٍ فنالَهُ وعمّا قليلٍ سوفَ يُلحِقُني بهِ

وله في الشوق ايضاً (من المنسرح):

لا تَعجبوا من حَنينِ قلبي إليهمُ واعذروا غرامي
فالقوسُ مع كونها جمادًا تَئنُّ من فُرقةِ السِّهامِ

وكذلك قال يتشوّق (من السريع):

كيفَ ألِفُ العيشَ في بَلدةٍ سُكّانُ قلبي غيرُ سُكّانها
لو انّها الجنّةُ قد أزلفَتْ لم أرضَها إلّا برِضوانها

وكان جمال الدين ابو القاسم بن افلح كتب يُعرب عن شوقه لابن التلميذ

اني وحقّكَ منذ ارتحلتَ  فخاري حنينٌ وليلي أنينُ
وما كنتُ اعرفُ قبلُ امرأً  بجسمٍ يقيمُ وقلبٍ يَبينُ
يقولُ الملامُ اذا ما رأى  ولومي بذكراك لا يستكينُ :
تَسلَّ . فقلتُ : دهاك الفراقُ  أتدري تَجرى البَيْنِ ابن يكونُ
وكيفَ السبيلُ الى سُلوتي  وحُزني وفيٌّ وصبري خؤونُ

فكتب امين الدولة في جوابه (من المتقارب) :

وانّي وحُبّك مُذ بِنْتُ عنك  م قلبي حزينٌ ودَمعي هَتونُ
وأخلَفَ ظَنّيَ صبرٌ مُعينٌ  وشاهِدُ شَكْوَايَ دمعٌ مَعينُ
فللّه أيّامنا الخاليا  تِ لو ردَّ سالفَ دهرٍ حنينُ
وانّي لَأرعى عهودَ الصَّفاء  وَيكلأُها لك ودٌّ تصُونُ
وأحفَظُ ودّك عن قادحٍ  وودُّ الاكارمِ عِلقٌ ثمينُ
ولِمْ لا يكونُ ونحن اليَدا  نِ انتَ بفضلك منها اليمينُ
اذا قلتُ : أسلوك . قال الغرا  مُ : هيهاتِ ذلك ما لا يكونُ
وهل ليَ في سَلوةٍ مَطمَعٌ  وصبري خؤونٌ وودّي امينُ

ونظم ايضاً ابن التلميذ في الغزل اللين بحسن الذوق كقوله (من المتقارب) :

لِسَيْفِ جُفونك فضلٌ على  مَواضي السيوفِ التي في الجفونِ
فتلك مع القَتل لا تستطيـ  ـعُ رَجْعَ النفوسِ بدَفع المَنُونِ
وعيناك يقتلني شَزْرُهـا  وأحيا بإيماضها في سكونِ

وقوله بمعناهُ (من الكامل) :

تَمّتْ محاسِنُهُ سوى كَلَفٍ  حُلوِ المَواقع زانَهُ بِشْرُ

وَسَموا بهِ لألاءَ غُرَّتِهِ عَمْدًا لِيُعْلَمَ انهُ بَدْرُ

وله في وصف الخال (من البسيط):

لا تَحسِبَنَّ سوادَ الخالِ عن خَلَلٍ من الطبيعةِ او إحداثُهُ غَلَطُ
وانَّما قلمُ التصويرِ حين جَرَى بنُونِ حاجبِهِ في خَدِّهِ نَقَطا

ومن غزَلِهِ (من الكامل):

يا مَنْ لَبِسْتُ عليهِ أثوابَ الضَّنا صُفْرًا مُشَهَّرَةً بحُمْرِ الأدْمُعِ
أدْرِكْ بقيَّةَ مُهْجَةٍ لو لم تَذُبْ شوقًا إليكَ تَفَيْتُهـا من أضلُعي

ومنهُ (من الخفيف):

انتَ شُغْلي في كلِّ حالٍ فنومي بخَيالٍ ويَقْظَتي بأذْكارِ
طالَ ليلي بطول هَجْرِكَ لا دا م وشوقي الى الليالي القِصارِ

وقال ايضاً (من الخفيف):

لا تَظُنَّنْ تخلُّفي لِمَلالٍ انتَ من خوف سَلْوَتي في أمانِ
رُبَّ هجرٍ يكونُ أدْعى الى الوَصْـلِ ووصلٍ أدعى الى الهِجرانِ

وهذه حِكَم ابن التلميذ وكلها لطيفة معنية قال يصف اواخر حياة الشيخ (من المتقارب):

اذا وَجَدَ الشيخُ في نفسهِ نشاطاً فذلك موتٌ خفي
ألستَ ترى انَّ ضوءَ السِّراجِ لهُ هَبَّ قبلَ ان ينطفي

وقال في العلم واسبابهِ (من المتقارب):

سُقِ النَّفْسَ بالعِلْمِ نحو الكمالِ تُوافِ السعادةَ من بابها

ولا تَرْجُ مـا لم تَسبَبْ لـهُ فانَّ الامورَ بأسبـابِهـا

وقال في انحجاب الحقيقة عن النفس (من البسيط):

لولا حِجَابٌ امامَ النفسِ يَمنعُهـا عن الحقيقـةِ فيما كان في الأزَلِ
لَأدركَتْ كلَّ شيءٍ عزَّ مطلبُـهُ حتى الحقيقةَ في المعلولِ والعِلَـلِ

وقال في تأثير العلم في العاقل وفي الجاهل (من الكامل):

العِلْمُ للرَّجُلِ اللَّبيبِ زيادةٌ ونقيصةٌ للأحمقِ الطيَّـاشِ
مثلُ النهـارِ يزيد ابصارَ الورى نورًا ويُغْشِي أعينَ الخُفَّاشِ

وما اظرف قولهُ في تواضع الشريف (من الطويل):

اذا كنتَ محمودًا فانَّك مُرْمِدٌ عيونَ الورى فَاكْحَلْهُمُ بالتواضُعِ

ومن قولهِ في حذر العدوّ الصغير (من البسيط):

لا تَحقِرنَّ عـدوًّا لانَ جـانِبُهُ ولو يكونُ قليلَ البَطْشِ والجَلَدِ
فالذُّبابةِ في الجُرْحِ المُمِدّ يدٌ تنالُ ما قَصُرَت عنهُ يدُ الأسدِ

وقال يصف الكريم واللئيم (من المنسرح):

نفسُ الكريمِ الجَوَادِ باقيةٌ فيهِ وان مسَّ جلدَهُ العَجَفُ
والحرُّ حرٌّ وان ألمَّ بهِ الـ ـضرُّ ففيهِ العَفافُ والأَنَفُ
والذُّلُّ لا يهتدي لمكرُمَةٍ لأنَّ ذاكَ المزاجُ منحرفُ
فالقَطْرُ سُمٌّ ان احتواهُ فمُ الـ ـصِلِّ وذُرٌّ ان ضمَّـهُ الصَـدَفُ

ولهُ في الشباب والشيب (من المنسرح):

قالوا شبابُ الفتى خَوُونٌ والشيبُ وافٍ فليسَ يَرْحَلْ

فقلتُ : ابعدتمُ قياساً ذاكَ حبيبٌ وذا مُوكَّلْ

ومن قولهُ في من يرى عيوب غيرهِ دون عيب نفسهِ (من الكامل) :

وأرى عيوبَ العالمينَ ولا ارى عيباً لنفسي وهو منّي اقربُ
كالطَّرْفِ يَستَجْلي الوجوهَ ووجهُهُ منهُ قريبٌ وهو عنهُ مُغْرَبُ

وقال في آخر عمرهِ (من الكامل) :

كانت بُلَهْنِيَةُ الشَّبيبَةِ سَكْرَةً فصحوتُ واستأنفتُ سَيرةَ مُجمِلُ
وقعدتُ ارتقبُ الفَناءَ كراكبٍ عرفَ المَحلَّ فبات دون المنزلُ

وقال في تحامل الدهر على الضعفاء (من الوافر) :

أَجَدِّكَ انَّ من شِيَمِ الليالي م العنيفةِ ان تجورَ على اللَّبيبِ
كمثلِ الخَلْطِ أَغلبَ ما تراهُ يصبُّ اذاهُ في العضو الضَّعيفِ

وقال يصرف النفس عن الملاذّ (من المجتث) :

قد كنتُ اعتَدُّ حِبّاً لُقْياكَ أَنفَسَ رِبْحِ
فقد بدَتْ عن سُلوٍّ سماءُ عقلي بِنُصْحِ
مالي أَهيمُ بحُسْنٍ يكونُ عِلّةَ قُبحي

وقال في العزم والجدّ (من السريع) :

واظِبْ على الحدِّ ولا تَنْخَدِعْ بالهَزْلِ ان ساعدَكَ الجَدُّ
ولا تَقُلْ انَّ لهُ موضعاً فالهزلُ في موضعهِ جَدُّ

ولابن التلميذ بعض ﴿ الالغاز ﴾ كخالهِ ابي الفرج منها قولهُ في سحاب (من الرجز) :

وهاجمٍ ليس لهُ من عُدْوى مُستبدلٍ بكلِّ مَثْوًى مثوى
بكاؤهُ وضحكهُ في معنًى اذا بكَى أضحَك اهلَ الدنيا

وألغز في الميزان فاجاد (من الرجز):

ما واحدٌ مختلفُ الأهواء يَعدِلُ في الارضِ وفي السَّماء
يحكمُ بالقسطِ بلا رِياء أعمى يُري الرشادَ كلَّ راءِ
اخرسُ لا من عِلّةٍ وداء يُغْني عن التصريح بالايماء
يجيبُ ان ناداهُ ذو امتراء بالرَّفعِ والخفضِ عن النداء
يُفصحُ ان عُلّقَ في الهواء

ولهُ لغزٌ في الدرع (من الطويل):

وبَيْضاءَ لا للبيضِ والسُّمرِ قدُّها تظاهرَ في تقويمها الحرُّ والبَردُ
تجلّتْ لنا حبًّا ولم تجرِ في رحًا ولكنْ تولّاهُ لها الرقُّ والبُردُ
وقيتُ بها نفسي فكانتْ كأنّها هي الشمسُ محجوبًا بها الكوكبُ الفردُ

وألغز في الابرة كأبي الفرج فقال (من الطويل):

وكاسيةٍ رُزْقًا سواها يجوزُهُ وليس لها حمدٌ عليهِ ولا أجرُ
مفرّقةٌ للشَّمْلِ والجَمْعُ دأبُها وخادمةٌ للناسِ تخدمها عشرُ (١
اذا خطرتْ جرّتْ فضولَ ذيولها سجيّةُ ذي كِبرٍ وليس بها كِبرُ
ترى الناسَ منها يلبسون الذي نضتْ نعمتُهم جودًا وليس لها وفرُ
لها البيتُ بعد العزّ غيرُ مدافعٍ الى بأسهِ (٢ تُعزى المُهنّدةُ البترُ

١) اي الاصابع العشر ٢) ويروى: الى بابه

أَضرَّ بها مثلي نُحولٌ يجـنها وإن لم يَرُعْها مثلَ ما راعني هجرُ(١

ولابن التلميذ مقاطيع غير هذه فاكتفينا بما سبق ذكرهُ . ولعلَّهُ وقع ايضاً بعض اختلاط بين ما رُوي لهُ وما روي لابي الفرج خالهِ فانَّ بعض ما ذكرناهُ للثاني يروى في كتب اخرى للاوَّل والعكس بالعكس . وما لا ريب فيهِ انَّ كليهما امتاز بالنثر والنظم وانَّما اتَّسع الرواةُ بذكر هبة الله وكان اقرب اليهم زماناً واوسع شهرةً وقد مدحهُ كثيرون من الشعراء ورثوهُ بعد موتهِ . فمن ذلك داليَّةُ السيِّد النقيب الكامل ابن الشريف الجليل رواها ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦٥) اوَّلها :

ابنَ الدولة أسلَمَ للايدي على رغم المناوي والمادي

ثمَّ روى قصيدة للشريف ابي يعلي محمَّد بن البهاريَّة الشهير يقول في مدحهِ :

شمسُ مجد لا تراها ابدًا عن سوآت العُلى مُنكسفَهْ
جلَّ ان يُدرَك وصفٌ مجدُهُ انهُ أكبرُ من كلِّ صِفَهْ
غدَتِ الدنيا ومن فيها سمًا للهُ بالملِ مترفه

وقال اثير الدين ابو جعفر عبدالله يرثيه :

فُقِدَ الطبيبُ فليس يوجد صحَّةٌ م الموجود منَّا بعد ذا المفقود

ورُوي غير ذلك لابن اسماعيل الطغرائي ولابن جكينا ولابن سديع الاصطرلابي ولابي القاسم هبة الله بن المفضل ما يُعرب عن سموّ منزلة ابن التلميذ واعتباره لدى اعيان زمانهِ وادبائهم

(لها بقيَّة)

١) ويروى : بحرُ